تحليل سبعة نماذج شعرية من ديوان الأعمال الكاملة للشاعر إبراهيم الكوفحي وفق المنهج الاجتماعي

الباحثة رانيا داود أمين الشرفاء، جامعة الاسراء، الأردن
د. عمر عبدالله العنبر، جامعة الاسراء، الأردن
Omar.al-anbar@iu.edu.jo

الملخص: هذا البحث يهدف إلى استكشاف سبعة من نماذج الشعر الخاصة بالشاعر إبراهيم الكوفحي مستخدمًا المنهج الاجتماعي لفهم الرسائل والمعاني الخاصة بكل نص شعري، تم تحليل كل من "القرآن والبندقية"، "أنا إبراهيم"، "غزة تحت القصف"، "ما هذا بإنسان"، "الراحة الكبرى"، "قسوة"، "هو موطني الحاني"، و"رثاء الشاعر حبيب الزيودي". توصل البحث إلى نتيجة مهمة وهي أن الكوفحي يستخدم شعره كوسيلة للتعبير عن القضايا الاجتماعية والسياسية في مجتمعه، يسلط الضوء على التحديات الكبيرة التي يواجهها الأفراد والمجتمعات في الوطن العربي، من الظلم الاجتماعي والقمع السياسي إلى حروب وأزمات إنسانية، يتميز شعره بالتعقيد والعمق النفسي، والقدرة على توصيل رسائل قوية من خلال الرمزية واللغة الشعرية الغنية. وبناء عليه، خرجت الدراسة بالعديد من التوصيات، من بين التوصيات، تأكيد الحاجة إلى توثيق الأدب العربي الحديث والقديم، وتقديمه للقراء العالميين لتحقيق فهم أعمق للقضايا الاجتماعية والسياسية في الوطن العربي، بالإضافة إلى ذلك، أوصى البحث بالمزيد من الدراسات المماثلة التي تستخدم المنهج الاجتماعي في تحليل الأعمال الأدبية.

الكلمات المفتاحية: *إبراهيم الكوفحي، المنهج الاجتماعي، الاعمال الكاملة*

Analyzing seven poetic models from the complete works collection of the poet Ibrahim Al-Kuofahi, according to the social methodology.

Abstract: *This research aims to explore seven models of poetry of the poet Ibrahim Al-Kofahi using the social approach to understand the messages and meanings of each poetic text, analyzed each of the "Qur'an and the Venice", "I am Ibrahim", "Gaza under bombardment", "What is this with a human being", "Great comfort", "cruelty", "He is my compassionate home", and "Lamentation of the poet Habib Al-Zeyoudi". The research reached an important conclusion, which is that Al-Kofahi uses his poetry as a means to express social and political issues in his society, shedding light on the great challenges faced by individuals and societies in the Arab world, from social injustice and political repression to wars and humanitarian crises, his poetry is characterized by complexity and psychological depth, and the ability to communicate strong messages through symbolism and rich poetic language. Accordingly, the study came out with many recommendations, among the recommendations, emphasizing the need to document modern and ancient Arabic literature, and presenting it to international readers to achieve a deeper understanding of social and political issues in the Arab world, in addition, the research recommended more similar studies that use the social approach in analyzing literary works.*

Keywords: *Ibrahim Al-Kofahi, Social Curriculum, Complete Works*

المقدمة

هذا البحث مكرس لتحليل سبعة نماذج شعرية من ديوان الأعمال الكاملة للشاعر إبراهيم الكوفحي، من خلال تطبيق المنهج الاجتماعي، يعتبر الشعر ظاهرة اجتماعية بحتة تعبر عن الحياة الاجتماعية بأوجهها المختلفة، لذا تأتي أهمية هذا البحث من الدور البارز الذي يلعبه الشعر في مجتمعنا، الأشعار التي تم تحليلها هي "القرآن والبندقية"، "أنا إبراهيم"، "غزة تحت القصف"، "ما هذا بإنسان"، "الراحة الكبرى"، "قسوة"، "هو موطني الحاني"، و"رثاء الشاعر حبيب الزيودي."

تتمحور الموضوعات المعالجة في البحث حول القضايا الاجتماعية والسياسية التي يطرحها الشاعر في قصائده، تبرز في شعر الكوفحي مجموعة من القضايا مثل الظلم الاجتماعي والقمع السياسي والحروب والأزمات الإنسانية، يقدم الشاعر الكوفحي من خلال أشعاره صورة واضحة للتحديات التي يواجهها الأفراد والمجتمعات في العالم العربي.

فيما يتعلق بأدوات المنهج، تعتمد هذه الدراسة على المنهج الاجتماعي، وهو منهج يعتبر الشعر ظاهرة اجتماعية، ويعتمد على فهم النصوص الشعرية ضمن السياق الاجتماعي الذي أنتجها، هذا يشمل النظر في التأثيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي تشكل الشعر وتقديم تفسير لها، تم تطبيق هذا المنهج على نصوص الكوفحي، مما يسمح بتحليل شعره في ضوء القضايا الاجتماعية والسياسية التي يتناولها.

بشكل عام، يعتبر هذا البحث هاما لأنه يساهم في فهمنا العميق لكيفية استخدام الشعر كأداة للتعبير عن القضايا الاجتماعية والسياسية، إنه يساعد على كشف الطبقات المعقدة من الرمزية والمعنى في شعر الكوفحي، ويكشف عن القدرة الكامنة للشعر للتأثير والتعبير عن الحياة الاجتماعية، بالإضافة إلى ذلك، يقدم البحث أداة فعالة لفهم العالم العربي وقضاياه من خلال شعر الكوفحي.

الإطار النظري

إنّ المنهج الاجتماعي حاضر حضوراً متميزاً في أشعار إبراهيم الكوفحي، ويوجد في ديوانه أشعاراً مثل العلاقات بالأب والأخ والزوجة والابن والبنت، وإن الشاعر صنف تحت مسمى (أخوي) ينظمه عدد من الأصدقاء والزملاء والكتاب وتؤكد هذه الأغراض الاجتماعية غنى تجربة الشاعر غنية واستحقاقها للدراسة بمحتوياتها ونمطها الجمالي وأبعادها الإنسانية، وتميزت أشعاره بتنوع أهدافها بين إرادة الأطفال مثل قصيدة "وصية لابني"، وقصائد الصداقة والصديق مثل "لو ذهبنا يا أصدقاء"، وقصيدة "حنين إلى عمان". ويتبين أَنَّ القصائد في ديوان الأعمال الكاملة للشاعر إبراهيم الكوفحي تدور في فلكين: أولهما (ذات الشاعر) فهو يعبر بالمقدمة عن مظاهر حياته واهتمامه بواقعه، والآخر القضايا الاجتماعية المحية بقضية الشعر التي تهتم بالجوانب الاجتماعية.

وتتجلى آليات الكوفي في تجلية القضايا الاجتماعية من خلال التنديد والاستئناف والسرد، ويظهر هذا في الأعمال الكاملة الذي جمعه من قصائده التي كتبها على مدى أربعين عاماً من الكتابة في الجوانب الاجتماعية في الشعر العربي، وقد وظف الكوفي ميراث الشعر العربي بقصائد راقية منسجمة مع صياغتها ومحتواها، تتفق مع موسيقاها الداخلية والخارجية، وقد أثرت الجوانب الاجتماعية تأثيراً مباشراً في شعره إذْ أخفى بعض القصائد الشعرية أو امتنع عن نشرها ويكون وراء ذلك أسباب اجتماعية كما هو الحال عند بعض الشعراء

ولاسيما أن بعضهم يؤلف في المراحل العمرية المبكرة قصائد في الغزل أو اندفاع الشباب إلى تأليف بعض القصائد السياسة ؛ ولكن عندما يتقلد مناصب أكاديمية لا يفضل نشرها.

ويظهر أن ديوان الأعمال الكاملة تمثل القصائد التي كان الشاعر الكوفحي راضياً عنها لترى النور في هذه المجموعة الغنية بلغتها الغنية بصورها العميقة في معانيها وحلوة في أوزانها، والديوان تنحصر بين اتجاهين: الأصالة والحداثة، وذلك باتباع الأسلوب التقليدي المتمثل بالشعر العمودي، أو الأسلوب الحديث المتمثل في الشعر الحر، أو الشعر التفعيلي، ويوضح الجدول التالي ترتيب القصائد الشعرية المستخدمة في ديوان الأعمال الشعرية للشاعر إبراهيم الكوفحي.

جدول 1 ترتيب القصائد الشعرية المستخدمة في ديوان الأعمال الشعرية للشاعر إبراهيم الكوفحي[1]

	العنوان	عدد القصائد	عدد الأبيات	قصائد الشعر العمودي	النسبة	قصائد شعر التفعيلة	النسبة
1	الفأس والجحيم	43	340	34	%79	9	%22.9
2	منبع الأحلام	17	180	14	%82.3	3	%17.6
3	في ربى الخلد	9	121	8	%88.8	1	%11.1
4	صحيفة في وادي عبقر	13	151	9	%69.2	4	%30.7
5	أضواء شاردة (النتف)	54	110	54	%81.8	–	–
6	أضواء شاردة (المقاطع)	12	–	–	%18	12	%18
7	ليالي العوالي	33	257	32	%96.9	1	%3
8	صور	30	226	24	%80	6	%20
9	نقوش قديمة	19	198	18	%94.7	1	%5
10	مجموعة للأطفال	11	38	4	%36	7	%63.6
	المجموع	**241**	**1621**	**197**	**%81.7**	**44**	**%18.2**

ويظهر من خلال الأعمال الكاملة للكوفحي أن العلاقات الاجتماعية وقضاياها هو شريك للشاعر في كتابة القصيدة، ولا يمكن الفصل بينهما على الرغم من النظريات الحديثة التي تحاول التفريق بينهما، إذْ يبقى الشغل الشاعر للشاعر هو الكشف بطريقة تستوعب كل ما هو عليه العلاقات الاجتماعية.

ويرغب الشاعر في التمرد على رقابة المجتمع دون أيّ اعتبار سوى أنْ يجد حريته، وأوضح الشاعر الكوفي في عدد من قصائده محاولاته لتحرير نفسه من رقابة المجتمع في مجموعته الشعرية التي جمعها من قصائده التي كتبها على مدى أربعين سنة. ويوضح الجدول التالي دراسة إحصائية لبعض الأوزان، وقوافيها، وأشكالها في ديوان الشاعر إبراهيم الكوفحي؛ للوقوف عند أهم خصائص شعره، والبنية الوزنية، وأبعادها الإيقاعية في تلك القصائد المنتقاة.

[1] هاشم صالح مناع، شفاء مأمون ياسين، لأوزان الشعرية وموسيقاها وأثر القافية فيها في شعر الدكتور إبراهيم الكوفحي، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، 2021، ص208-223

جدول (2) دراسة إحصائية لبعض الأوزان، وقوافيها، وأشكالها، في ديوان الشاعر الدكتور إبراهيم الكوفحي[2]

التسلسل	القصيدة	رقم الصفحة	المحور	الغرض الشعري	البحر العروضي	عدد الأبيات	نوع القافية	شكل القافية	الموسيقى الداخلية
1	الراحة الكبرى	61	الفأس والجحيم	الفخر والحنين	مجزوء الكامل	28	مقيدة	منوعة	التصريع
2	اه لو نمضي صديقين	87	الفأس والجحيم	العتاب	مجزوء الرمل	23	مطلقة	منوعة	التكرار
3	على ريش البراق	99	الفأس والجحيم	الشكوى والهجاء	الكامل	19	مطلقة	موحدة	التصريع
4	وحدي مع الحزن	109	منبع الأحلام	الشوق والحنين	البسيط	51	مطلقة	موحدة	تصريع وتكرار وتضمين
5	وشوشات اربدية	122	منبع الأحلام	الحنين الى الوطن	المتقارب	17	مطلقة	موحدة	التكرار
6	هو موطني	149	منبع الأحلام	الحنين الى الوطن	الكامل	5	مطلقة	موحدة	التصريع والتكرار
7	أخي محمود	160	في ربى الخلد	الرثاء	الكامل	22	مطلقة	منوعة	التصريع والتكرار
8	في محنة الشعر	206	صيحة في وادي عبقر	الرثاء	مجزوء الكامل	52	مطلقة	منوعة	التصريع والتكرار
9	شِعري	277	أضواء شاردة	في الفخر	الطويل	2	مطلقة	منوعة	التصريع والتكرار
10	نقد الحاقدين	291	أضواء شاردة	الهجاء	الوافر	قطعة	مطلقة	قطعة	التكرار
11	نسائم	302	ليالي العوالي	الوصف	المتقارب	12	مطلقة	منوعة	التصريع والجناس
12	مع الشاعر علاء العرموطي	326	ليالي العوالي	الاخوانيات	مجزوء الكامل	40	مقيدة	موحدة	التصريع والجناس والطباق
13	آبان	433	نقوش قديمة	الحنين الى الوطن	السريع	15	مقيدة	موحدة	التصريع والجناس

[2] هاشم صالح مناع، شفاء مأمون ياسين، لأوزان الشعرية وموسيقاها وأثر القافية فيها في شعر الدكتور إبراهيم الكوفحي، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، 2021، ص208-223

التسلسل	القصيدة	رقم الصفحة	المحور	الغرض الشعري	البحر العروضي	عدد الأبيات	نوع القافية	شكل القافية	الموسيقى الداخلية
14	مجموعة للأطفال	493	تحت شجرة التوت	الوطن	مجزوء الوافر	8	مقيدة	منوعة	التكرار والجناس

لوحظ أنّ المقدمات في قصائد المديح على وجه الخصوص تتسم بطول النفس الشعري عند الشاعر إبراهيم الكوفحي، وتتعدد موضوعاته دون أنواع أخرى من المقدمات، ولعل أقرب تفسير لذلك هو أنها قصائد اجتماعية تستهدف النخبة من المجتمع، وعادة ما تُتلى أمام مجموعة كبيرة، لذلك لاحظ الشعراء فيها سبكاً وجرساً موسيقياً وفق الغرض من الرثاء، إذْ غالبًا ما يقدمه الشاعر ببضع أبيات موجزة.

تحليل نماذج شعرية للشاعر إبراهيم الكوفحي وفق المنهج الاجتماعي

أولاً: النموذج الأول (القرآن والبندقية)

إنَّ النموذج الأول من ديوان "القرآن والبندقية" للشاعر إبراهيم الكوفحي الذي يمزج فيه العلاقة الأبوية الاجتماعية مع القرآن؛ لأنَّ أباه أول من أسمعه القرآن الكريم، وينادي فيه المخلصين لهذا القرآن العظيم الذين لا يستطيعون أنْ يحققوا ما جاء به إلا إذا كانوا أقوياء؛ لأن الضعفاء لا يحققون شيئاً، ويقول الشاعر:

"إلى (أبي..)

أوّل من أسمعني القرآن

مجوَّدا

فانسربتْ في الروح والوجدانْ

آياته الرهيبة

تهزني أنغامها العجيبةْ!

أذكرُ..

كان يقرأُ (الرحمنْ)

فانطلق اللسانْ

من ذلك الزمانْ

ولم يزلْ.. مردّدا

علّمه البيانْ" [3]

---

[3] إبراهيم الكوفحي (2019)، الأعمال الشعرية، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ص20

ويظهر أنَّ هذه القصيدة تعاين موضوعين أولهما علاقته بوالده والآخر دخول القرآن إلى أعماق، وإذا تأملنا في المعاني قصيدة نجد أنها تعكس الصورة الاجتماعية وأفكاره وانطباعاته عن الحالة التي دفعته لقول الشعر، وهذا الموقف لا يقوم به عادة الشاعر في القصيدة كلها، بل يتضح في مقدمة القصائد وبدايتها؛ لذا نجد أن فهمنا للقصيدة في ضوء الجوانب الاجتماعية يكشف لنا غالبًا عمقًا القصيدة الذي لا ينكشف بظهور الجمل والتراكيب بل من خلال الخصوصية الاجتماعية التي تتضح من خلالها المعاني القصيدة ذات التشكيل الاجتماعي المتميز. وهذا بدوره يؤثر على قبول القضايا الاجتماعية، وتنبع أهمية المقدمة في تهيئة النفوس ولفت الانتباه وإيقاظ الضمير، وتختلف الإعداد من قصيدة إلى أخرى وفق الغرض والمتلقي.

ويفسر النهج الاجتماعي النص الأدبي من خلال التركيز على ظروف الإنتاج الاجتماعية واستخراج البنية ذات المعنى وتفسير تفاعلها مع البنية العقلية للمجموعة التي ينتمي إليها الشاعر أو يمثل رؤيته للعالم؛ لأنه لا يعبر عن رؤيته الخاصة؛ بل يجسد رؤية جماعية محتملة.

وإن النقد الاجتماعي يبحث العلاقة بين الواقع والعمل الإبداعي أو الثقافي وليس كآلية انعكاسية؛ لأنه عندما تنتج البيئة الاجتماعية علاقات اجتماعية معينة، وإن أيّ تحول يحدث في البنية التحتية للمجتمع لا يؤدي إلى بنى فوقية جدلية موازية لها. ثم تكون بنية الشعر العربي مماثلاً للبنية الذهنية للفئة الاجتماعية التي أعاد الشاعر تثبيتها (يؤلفها) في عمله، وإقامة مقارنة بين الرؤية التي تحكم بنية الشعر العربي من جهة، ومن ناحية أخرى، المجال الثقافي الذي ينتمي إليه الشاعر.

ويستطيع متابع القصائد في ديوان الأعمال الكاملة لإبراهيم الكوفي أن يشعر بالآلية التي حاول شاعرنا من خلالها خلق محاكاة بين النصوص الشعرية والآلام الاجتماعية، مع الحفاظ على خصوبة المعجم اللغوي الذي ميز الأعمال الكاملة. للكوفي، وذلك لسببين:

1. **أنه حصيلة تسع دواوين**، أي حصيلة عمر عاشه الشاعر مذ كان يافعاً.
2. **سلطة المفردة الحقيقية** لا المجازية التي أصر الشاعر بها أختها من غير تغيير إيماناً منه أن الشعر حياة لا يفترض العبث به وإخراجه عن طبيعته، وكلما كانت طبيعية من واقع الحياة؛ كانت أشبه بحياتنا وبرغيف خبزنا.

ويظهر التركيز على العلاقة بين البنية الاجتماعية والشعر من خلال عملية فهم وتفسير القصائد التي تتطلب النظر في البنية الداخلية للقصيدة وربطها بالذات الفردية و/أو الجماعية، وبهذا يظهر أنَّ الشاعر إبراهيم الكوفي كان قادرًا على إيجاد صلة بين النصوص الشعرية والألم الاجتماعي مع الحفاظ على الغنى اللغوي لأعماله.

النموذج الثاني (قصيدة أنا إبراهيم)

"صادفتُهُ...

يسير في شوارع (الزرقاءِ)

أذكرُهُ...

كان صديقاً رائعاً ... وطيباً،

من خير أصدقائي

وطالباً مجتهداً.. في المدرسةْ

متعلَ الذكاءِ

لم أَرَهُ...

من مدةٍ طويلةٍ في (الأُرْدنِ)

عهدي به... هناك في (واشنطنِ)" [4]

يتحدث نص القصيدة عن علاقة اجتماعية لصديق الشاعر إبراهيم الغائب وهو طالب المجتهد التقى به الشاعر في الزرقاء بالأردن وواشنطن في الولايات المتحدة الأمريكية، ويبدو أنَّ الشاعر يحس بالحنين إلى الأوقات التي قضاها مع صديقه، وهو يركز على أهمية الصداقة وقيم التفاني في حب الصديق، وصديقه إبراهيم طالب في المدرسة تمكن من الانتقال من الأردن إلى واشنطن - رحلة تتضمن تحديات كبيرة وتحولات ثقافية واجتماعية.

"ذَهَبَ كي يدرس علم الهندسة

ناديته ... لم يلتفت

كان يسير ... مسرعاً،

لحقته...

صافحته... بقوة،

سألته

عن حاله...

إن كان قد تخرّجا

أو كان قد تزوجا

عن أهله...

حدثته ...

عن ذكريات حلوة... جميلة

كانت لنا...

في عالم الطفولة

عن ركضنا...

هناك في الكروم والضّياع" [5]

---

[4] إبراهيم الكوفحي (2019)، الأعمال الشعرية، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ص20

[5] إبراهيم الكوفحي (2019)، الأعمال الشعرية، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ص21

وتتابع القصيدة سرد تفاصيل اللقاء العابر بين الشاعر وصديقه القديم، الشاعر يبدو متحمسًا لمشاركة ذكريات الماضي، ويحاول استعادة الأوقات الجميلة التي قضوها معًا في الكروم والضياع، وهذه الأماكن تعكس الطابع الريفي للمجتمع الذي نشأ فيه.

وتأتي الذكريات في مقابلة مع الحاضر، إذْ ذهب صديقه إبراهيم لدراسة الهندسة، ليعيد الشاعر السؤال عن صديقه عن حياته الحالية، هل تخرج أم تزوج؛ لكن يبدو أن هناك حاجزاً بين الشاعر وصديقه، يمنعهم من التواصل بالشكل الذي كانا عليه في الماضي.

والقصيدة تبرز التوتر الاجتماعي بين الماضي والحاضر، والشاعر يحن إلى الطفولة والبساطة، في حين أنَّ صديقه كما يبدو، متوجه نحو مستقبل مبني على التعليم العالي وربما الحياة الحضرية، وهذا التوتر يعكس تحديات الحياة في المجتمعات التي تمر بعملية تحول سريعة نحو الحداثة.

وجاء قصيدة إبراهيم الكوفي متجانسة لتقوم على عدد من العلاقات والروابط بين الجمل والفقرات من خلال الوسائل اللغوية والشكلية التي حقق بها وجوده النصي من خلال تواتر آليات التماسك التي من بين مظاهرها استخدام تراكيب الجمل المتنوعة: معقدة وبسيطة.

وهناك اعتراف بالتحديات التي يواجهها الطلبة مثل إبراهيم، ولاسيما في ظل الانتقال بين البلدان لتحقيق التطلعات الأكاديمية والتحولات الاجتماعية الرئيسية التي يمكن أن تتقاطع مع الحياة الأكاديمية والشخصية.

وعلى الرغم من الألم الناجم عن البعد، يبقى الشاعر متصلًا بصديقه من خلال الذكريات المشتركة، مما يسلط الضوء على القيمة الاجتماعية والشخصية للصداقة. ويظهر هذا النص الشعري الدور المركزي الذي يمكن أن تلعبه العلاقات الإنسانية في تشكيل تجاربنا وتفسيرنا للعالم من حولنا، ومن منظور النقد الاجتماعي يمكن رؤية الشاعر وهو يشكل تجربة إبراهيم وحياته من خلال بنية العلاقات الاجتماعية الثاوية وراء النص، إذْ اعتمد الكاتب على عمليتي الفهم والتفسير: الفهم واضح في كشف الكاتب عن التماسك الداخلي للقصيدة العربية، وبحثه ضمن هذا التماسك عن بنيتها الداخلية الشاملة. دلالة (عمود الشعر)، ثم حاول تفسير تلك البنية وربطها بالذات الفردية و / أو الجماعية التي يعتبر الهيكل العقلي المنظم للإنتاج الأدبي بالنسبة لها، صفة وظيفية مهمة، لذلك نظر (التأويل) إلى الشعر العربي على مستوى خارجي لربطه ببنية أوسع وأكثر شمولاً.

"وصيدنا...
للطير بالمقلاع
وأكلنا....
حين نجوع في الأصيل
من (رغيف الراعي)...
عن لعبة (القناع)
وكيف كان دائما
يفوز دون غيره... بلقب(الشجاع)
حدثته حدثته ...
لكن بدا... مستغربنا،
وظل في تجهم!
قدرت...
قلتُ: ربما نسيني
وربما

يمنعه الحياة أن يقول:
عذراً، ما اسمك الكريم
فقلت في تبسم"[6]

وهذا النص الشعري يكشف عن عمق الصداقة بين الشاعر وصديقه، إذْ يتذكران لحظات الطفولة البريئة، اللعب معاً، والمشاركة في تجارب الحياة البسيطة مثل: الصيد بالمقلاع وتناول الطعام عند الجوع، وتتكشف في النص عناصر من المجتمع والثقافة، مثل: لعبة القناع ورغيف الراعي ممّا يعطي القارئ فهمًا للبيئة الثقافية والاجتماعية التي نشأت فيها الصداقة.

ومع هذه الذكريات يبدو أنَّ الشاعر يحس الفجوة بين الماضي والحاضر، بين الطفولة والبلوغ، وبين الحياة في الأردن وواشنطن، والبيئة الاجتماعية التي يعيشها الشاعر الآن تلعب دورًا حاسمًا في تشكيل فهمه وتجربته للعلاقات الشخصية.

والنص يعكس التأثير البالغ للتغيرات الاجتماعية والثقافية على العلاقات البشرية، ويعترف الشاعر بالتغيير في العلاقة بينه وبين إبراهيم، ويقدر الحاجز الناشئ عن الزمان والمكان. وهذا الاعتراف يظهر النضج والقدرة على فهم التعقيدات الاجتماعية والعاطفية التي يمكن أن تحدث مع مرور الزمن وتغيير الظروف، وتتابع القصيدة:

"أنا... أنا (ابراهيم)!
لم يكترث
سحب كفه بسرعة،
وقال لي: كفى
مستعجل،
أريد أن أقول كلمةً واحدةً،
إنْ شِئتَ أَنْ تَسْمَعَني:
"مثلك لن يخدعني!"
...وبغْتَة
يضيع
تبلعه الجموع
بقيت وحدي... واقفاً
مندهشاً
أنظر
لا أرى سوى مَنْ يشتري
حولي... ومَنْ يبيع!" [7]

القصيدة تغير مسارها في الأبيات الأخيرة تتحول الفرحة الممتلئة بالحنين إلى حزن ودهشة عندما يرفض صديق الشاعر التعرف عليه ويقول له:"مثلك لن يخدعني" ويعكس هذا الرفض التوترات الاجتماعية بين الماضي والحاضر، وبين الحنين إلى الطفولة والتطلع إلى المستقبل، ويعكس هذا الرفض التغييرات في الهوية

[6] إبراهيم الكوفحي (2019)، الأعمال الشعرية، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص 22

[7] إبراهيم الكوفحي (2019)، الأعمال الشعرية، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ص 23

الذاتية والاجتماعية، بطريقة تجعله يرى الشاعر يمثل الماضي والتقاليد بوصفه شكلاً من أشكال الخداع ومع خروج صديقه من الساحة، يظل الشاعر وحيداً، ينظر إلى الناس حوله الذين يشترون ويبيعون، وقد يرمز إلى الجانب المادي للحداثة والتحضر الاجتماعيان.

وتعبر القصيدة عن معاناة الفرد في مواجهة التغييرات الاجتماعية السريعة والجذرية؛ فالشاعر نموذج للغربة والدهشة في هذا التحولات الاجتماعية، إذْ إنَّ الناس مشغولون بشراء وبيع الأشياء بينما يفتقد للروابط الإنسانية القوية التي كانت موجودة في الماضي لتحمل القيم، ويتجل في النص وجود القضايا الاجتماعية الآتية:

أولاً: التحولات الاجتماعية

تتناول القصيدة قصة صداقة لفقدان الصداقة والصديق، إذْ يشير الشاعر إلى صفات صديقه الإيجابية كصديق رائع وطيب وطالب مجتهد، ويستعرض الذكريات المشتركة والأنشطة التي كانا يقومان بها معًا في الطفولة، ويمكن استنتاج أنَّ القصيدة تعكس عنصر الصداقة وأهميتها في العلاقات الاجتماعية.

ثانياً: الطبقة الاجتماعية

تشير القصيدة إلى موقف اجتماعي لكل من الشاعر وصديقه مثل: العيش المشترك في الأردن والصداقة في واشنطن ممّا يشير إلى وجود فصل جغرافي بينهما واحتمال وجود فوارق اجتماعية وثقافية بين البلدين.

ثالثاً: رؤية العالم

الشاعر يستخدم اسمه الشخصي "إبراهيم" في القصيدة ليعبر عن تأثره وتفاجئه عندما يقابل صديقه ويكتشف أنه لم يكن يتذكره، ليعبر نقاش حول اختلاف رؤيته للعالم والاستدلال عليها من خلال الذكريات المشتركة والتواصل الاجتماعي، والمادية التي تحول رؤية العالم وقيمه.

1. القوة والتفوق:

تتضمن القصيدة إشارات إلى اللعبة المشتركة بين الشاعر وصديقه، إذْ كان إبراهيم يفوز دائمًا ويحمل لقب الشجاع، ويمكن رؤية هذا بوصفه تعبيراً عن المنافسة الاجتماعية والقوة الشخصية ودورها في العلاقات بين الأشخاص.

2. الغربة والانعزال:

يتضح في القصيدة أن الشاعر يشعر بالغربة والانعزال بعد فقدان الاتصال بصديقه وملاحظته للتجاهل والعجز عن التواصل معه، ويمكن رؤية هذا الجانب كتجربة اجتماعية تعكس مشاعر الوحدة والبعد عن الآخرين.

والقصيدة قصة صديقين تفصلها الزمن والمسافة، وتبرز بعض العناصر الاجتماعية مثل الصداقة، الطبقة الاجتماعية، الهوية الشخصية، القوة والتفوق، والغربة والانعزال، ويمكن اعتبار هذه العناصر أدوات منهج اجتماعي تُستخدم لاستكشاف وفهم العلاقات الاجتماعية والتأثيرات النفسية والثقافية التي تنشأ عنها.

2. النموذج الثاني المختار (قصيدة غزة تحت القصف)

"أيها المسلمون ماذا دهاكم؟

كل يوم باغ عليكم يغير

هذه (غزة) تموتُ حصاراً

ودماراً، وليس فيكم نصيرا
أتي نوم على السرير وقد ضجّ
من النوم والهوان السرير
فمتى نستفيق منكم عيون
ومتى يستفيق منكم ضمير
كيف طابتُ لَكُمْ حياةٌ وقد عانت"[8].

وتحمل دلالات اجتماعية وسياسية وإنسانية تؤكد العجز الاجتماعي المتفشي في الأمة في مواجهة المعاناة والقهر في غزة، ويتساءل الشاعر عن سبب الركود واللامبالاة التي تعيشها الأمة الإسلامية، ويتساءل عن كيفية تحمل الناس للعيش في حياة مريحة بينما يعاني الآخرون.

والبيت "كيف طابت لكم حياة وقد عانت" هو تعبير قوي عن الغضب والحزن الذي يشعر به الشاعر، ويستخدم الشاعر هذه الصورة القوية للتأكيد على الاختلاف الشاسع بين الحياة الرغدة التي يعيشها بعض الناس والمعاناة الشديدة التي يتحملها الآخرون.

والقصيدة تسلط الضوء على القضايا الإنسانية العالمية وتدعو إلى التضامن والاكتراث بقضايا العالم. كما تعتبر أن القصيدة تطرح أيضًا تساؤلات حول القيم والأخلاق والضمير الإنساني في وجه الظلم والقهر. وفي النهاية، تعد القصيدة دعوة للإعمار والنهوض والعمل من أجل تحقيق العدل والسلام.

ومن منطلق المنهج الاجتماعي، فإن هذه القصيدة تعبر عن الوضع الصعب في قطاع غزة خلال مدة القصف والحصار، إذْ تتجلى أدوات المنهج الاجتماعي فيها بما يلي:

1. التشخيص الاجتماعي: تستخدم القصيدة الواقعية في وصف الوضع الراهن في غزة تحت القصف والحصار، ويؤكد الشاعر لدمار والمعاناة التي تعانيها غزة؛ بسبب الحصار ممّا يعكس الواقع المرير للسكان.
2. التعبير عن الظلم والانتقام :ينتقد الشاعر في قصيدة غزة تحت القصف ويستنكر العنف الذي يتعرض له المسلمون في المنطقة، ويطالب بتحرك المسلمين وتغيير الوضع القائم وتوفير الدعم والمساعدة للمتضررين.

[8] إبراهيم الكوفحي (2019)، الأعمال الشعرية، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ص 79-80

3. الوعي الاجتماعي :يستخدم الشاعر مصطلحات مثل "نصير" و "ضمير" للإشارة إلى الحاجة إلى التضامن والوعي الاجتماعي، ويطلب من المسلمين أنّ يستفيقوا لمعاناة غزة لتحقيق دعمها ومساعدتها.
4. الانتماء والوحدة الاجتماعية:تستخدم القصيدة مفهوم الوحدة والانتماء لدعم غزة وتوحيد الجهود، يعبر الشاعر عن تعاطفه وانتمائه للمسلمين في غزة ويطالب بتحرك جماعي لتغيير الظروف المأساوية التي يواجهونها في غزة تحت القصف والحصار، وتستخدم أدوات المنهج الاجتماعي للتعبير عن الواقعية والوصف، ونقل الشعور بالظلم والانتقام، وتعزيز الوعي الاجتماعي السياسي تحقيقاً للانتماء والوحدة، وتهدف القصيدة إلى جذب الانتباه إلى الوضع القاسي الذي يعيشه سكان غزة من خلال التضامن والتعاون للمساعدة في تحسين الأوضاع.

3. النموذج الثالث قصيدة (ما هذا بإنسان)

"غادرت (كهفك)، إذا أغراكَ من ضحكوا
تخالهم خيرَ أعوانٍ وخلان
غداً تقول، إذا جربتَ واحدهم
تالله...تالله، ما هذا بإنسان!
فأكثر الناس في ذا العصر قد مسخوا
فلا ترى غير (حيات) و(حيتانِ)
وغير (أضبع) ليل، لا أمان لها
إذا سريتَ، و(أغوالٍ) و (وذؤبانِ)
لا تنخدعْ لحظة، ما هذه (مُدُنا)
بل غابُ فتكٍ وتخطيفٍ وطغيانِ!"[9]

شكلت البيئة الاجتماعية الريفية حضوراً فاعلاً في قصائد الكوفحي التي تغنت المكان حتى احتلت مساحة واسعة من شعره وجسدت دلالات وأبعاده اجتماعية تعكس الصورة العاطفية التي عاشها الشاعر، وقد سار على خطى مصطفى وهبي التل في توظيف المكان لخدمة الغرض الشعري.
وتقدم القصيدة نظرة اجتماعية معمقة إلى العالم والكون والإنسان، ويصف الشاعر العالم بأنه كهف مليء بالأخطار والمخاطر، ويرسم صورة قاتمة للعلاقات الإنسانية، إذْ يبدو أنَّ الشاعر يتحدث عن خداع وظلم وعدم الأمان في المدن، وكيف أنَّ الأشخاص تحولوا إلى "وحوش" لا إنسانية، والتعابير مثل: (حيات، حيتان، أضبع، أغوال، وذوبان) ترمز إلى الخطر والخداع، والشاعر يحذر من الخداع والخيانة في العالم مشددًا على أنّه على الرغم من الوجه المبتسم للبعض فقد يكونون ضارين أو خادعين.

[9] إبراهيم الكوفحي (2019)، الأعمال الشعرية، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ص 36

وهذه القصيدة تنقل رؤية اجتماعية سوداوية؛ ولكنها صادقة للواقع الاجتماعي، إذْ يظهر الشاعر تأثير التغييرات الاجتماعية والسياسية على الإنسان وتفاعلاته، وتعكس القصيدة الخوف من الخداع والخيانة وتعبر عن شعور بالحذر تجاه البيئة المحيطة، ويمكن فهم هذه القصيدة كدعوة للاستيقاظ والحذر من العالم الواقعي وما يحمله من تحديات ومخاطر، وتتضمن القصيدة ملامح اجتماعية تنبق من تطبيق المنهج الاجتماعي أهمها:

1. التناقضات الاجتماعية: تستخدم القصيدة التناقض للتعبير عن الاستغراب والرفض للسلوكيات السلبية والتحولات التي يمرّ بها المجتمع، ويشير الشاعر إلى التناقض بين الأشخاص الذين يبتسمون ويضحكون وتخيلهم كأصدقاء وأقران جيدين، وبين الواقع الحقيقي لهؤلاء الأشخاص الذين يتسببون في الفساد والعنف.
2. التحذير الاجتماعي: يستخدم الشاعر القصيدة لتوجيه تحذير ألا ينخدع بمظاهر الخير والمظاهر الجميلة في المجتمع الحديث، ويحذر من الانحراف والفساد الذي يتسبب فيه البشر.
3. التحولات الاجتماعية: تحتوي القصيدة على استفهامات تدفع القارئ إلى التأمل والتفكير في واقع المجتمع ومساره التدهوري، ويشعر الشاعر بخيبة الأمل ويطرح أسئلة حول الإنسانية والتوجهات السلبية في المجتمع الحالي.

وتعبر القصيدة عن استياء الشاعر من التحولات السلبية في المجتمع وتحذر من الانخداع بالمظاهر الخارجية للناس، وتستخدم أدوات المنهج الاجتماعي مثل: التناقض، والتحذير والنصح، والاستفهام والتأمل لتوجيه رسالة قوية حول الحاجة إلى التوعية والتغيير في المجتمع.

4. النموذج الرابع قصيدة (الراحة الكبرى):

"وتوعّدته بجندها

وبنارها ذاتِ الوقود

إنّ السبيلَ إلى العلى

لا تبتغي أبداً قعودْ

الراحة الكبرى... إذا

بلغ (المسافرُ) ما يريدْ

خلع النعالَ... ولم يعدْ

ذاك المعنّى والشّريدْ

قد عدتُ يا (وطني) الحبيب

وقد وفيتُ لك العهودْ

قد عدتُ رغم الشوك...والآلام...

والخصم اللدود

الآن ألقى عصبةَ الأحباب...

هذا اليومُ عيدْ"[10].

تبدو هذه القصيدة بوصفها رحلة الشاعر الاجتماعية نحو التحدي والكفاح والعودة إلى الوطن الحبيب، إذْ يعبر عن الصعوبات التي واجهها والتحديات التي تغلب عليها للعودة إلى الوطن، ويبدو أنَّ الشاعر قد مرّ برحلة طويلة وشاقة؛ ولكنه أصر على العودة إلى الوطن رغم الصعوبات.

والشاعر يتحدث عن وعوده وتعهداته التي أوفاها، وهذا يوحي بالقوة والتصميم، ويعبر الشاعر عن الالتزام بالوعود والتعهدات، وهذا يمكن فهمه على أنه يشير إلى قيم الشرف والولاء.

واستطاع الشاعر بفضل انغماسه الاجتماعي وحبه لتراث الوطن أن يعرض صورة الوطن ويحمل آرائه وقضاياه المصيرية ويعلنها من على منبر الشعر بروح جرداء تجسد روح التمرد والعصيان، والجرأة الأدبية في إشارة إلى نقاط الخطر التي تستهدف الوطن، ويصور المظاهر الاجتماعية الملموسة للبيئة، في حين أن شعره الذي ينتقد فيه الظروف الاجتماعية الداخلية أقرب لتصوير مظاهر البيئة الفكرية والأخلاقية، إنما هو كيف هو، ولا يهمنا: كم قال الشاعر في وطنه، بقدر ما يهمنا كيف قال – وإن كانت الكمية الكبيرة غير مقبولة، ما دامت تتشكل جزءً من تجربة الشاعر الاجتماعية في الاغتراب عن وطنه؛ لأنه يحكم على مستوى الشعر ومدى عمق وجدة وقوة وسامية وصل إليه.

والشعر الاجتماعي ينقل لنا الحياة الاجتماعية بكل صورها وأشكالها، ويبين لنا حياة الناس في شتى مجالاتها، والمتتبع لشعر أيّ مجتمع يستطيع أنْ يدرك الكثير عن حياة ذلك المجتمع:" فحياة الأدب في قطر من الأقطار صورة حية وانعكاس للعملية الاجتماعية الكبيرة التي يمارسها المجتمع بمختلف فئاته، وهذا ما يفسر اعتماد عدد من الدارسين على الأدب بصفة عامة والشعر ولاسيما في التعرف على الظواهر الاجتماعية لأي مجتمع، واتجه الشعر في العصر الحديث لمعالجة قضايا المجتمع وهمومه، وتصوير حياة الناس والاهتمام بقضاياهم ومشاغلهم، ولم يعد الشعر الحديث أداةً للهو والتندر بالآخرين بل صار يواكب أحداث الأمة، ويصف أفعالها، ويبعث فيها الأمل، ويدفعها قدماً للأمام، ويهتم بالقضايا الاجتماعية المهمة التي ظفرت بالنصيب الأوفى في الشعر الحديث.

وإن هذه القصيدة تعكس روح الشجاعة والتحدي والعزم التي يعبر الشاعر عنها بقوته وتصميمه على العودة إلى الوطن رغم الصعوبات، ويؤكد الفرحة والاحتفال بالعودة إلى الوطن، والقصيدة تعبر عن رغبة الشاعر في

[10] إبراهيم الكوفحي (2019)، الأعمال الشعرية، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ص 64

العودة إلى الجذور الاجتماعية وهو ما يمكن أن يشير إلى أهمية الانتماء والهوية، وإنَّ أبرز قضايا القصيدة هي:

1. العشق للوطن:

يعبر الشاعر عن حبه العميق والعاطفة لوطنه، ويتعهد بالوفاء له وبالعمل الجاد من أجله؛ يعكس ذلك الانتماء العميق والولاء للوطن وحب الشاعر لأرضه وشعبه.

2. التحدي:

يتحدى الشاعر الصعاب والآلام ويؤكد إنه عاد إلى وطنه بالرغم من الصعوبات والتحديات التي يواجهها.

3. التضحية لحقيق الأهداف:

يتعهد الشاعر بالتضحية من أجل وطنه ويؤكد أنه وفي للعهود التي قطعها، ويؤكد استعداده لتقديم كل ما لديه لوطنه وشعبه، حتى لو كانت هناك صعوبات وتضحيات.

وتعبر القصيدة عن حب الشاعر العميق لوطنه وتعهده بالوفاء له والتضحية من أجله، وتؤكد قضايا اجتماعية أهمها: العشق للوطن، التحدي المشقات، والتضحية لإيصال رسالة قوية عن الانتماء الوطني والتفاني في خدمة الوطن.

5. النموذج الخامس (قصيدة قسوة)

"أتلقاني... والقاكَ
من العيدِ إلى العيدِ
وكنّا مثلَ كفّينِ
وعنقودينِ في عودِ
فماذا قد جرى حتى
رمتنا البيدُ... للبيدِ
وما كانتْ جراحُ البعدِ...
تبقى دون تضميدِ
عجيبٌ... كيف أصبحنا

قساة... كالجلاميدِ" [11]

تُظهر هذه الأبيات الشعرية توجهاً اجتماعياً نحو العتاب للكشف عن الصداقة التي تحولت بفعل البعد والزمن، ويظهر أن الشاعر يعبر عن صدمته وألمه العميق بالتغيير الذي طرأ على العلاقة بينه وبين صديقه، إذْ يقارن الصداقة بالكفين والعنقودين في عود، وهي صور تدّل على الوحدة والتكامل والرغبة في البقاء معا.

وتبشر الأبيات بالتأثيرات الاجتماعية والنفسية للبعد والتغيير المؤديان إلى تحولات كبيرة في العلاقات، وقد يتسبب في الألم والحزن والاشتياق، وهذا يبرز دور السياق الاجتماعي في تشكيل علاقات الصداقة.

ويعبر الشاعر في هذه الأبيات يعبر بصدق وصراحة عن تجربته مع التحولات الحياتية في المشاعر والتجارب الشخصية تعد واحدة من غرضاً من الأغراض البارزة في أدبه، إذ يستخدم الشاعر اللغة كأداة للكشف عن عمق مشاعره وتجاربه ممّا يعزز من قيمة العمل الأدبي ويتيح للقراء التعاطف والتفاعل معه، إذْ القصيدة تعزيز العلاقات الاجتماعية من خلال:

1. تحولات العلاقات الاجتماعية:

يعبر الشاعر عن الحنين والألم الناجم عن الفراق والبعد في قصيده، ويشعر بالأسى والحزن؛ بسبب انتهاء الفرحة والتلاقي بين الأحباب واستبدالها بالانفصال والألم، ويعكس تحولات العلاقة الاجتماعية وقسوتها التي حدثت بعد البعد والانفصال، ويشعر بالدهشة والاستغراب من تحول العلاقة الطيبة إلى قسوة وصلابة.

2. التشبيه والصور:

يستخدم الشاعر التشبيه والصور المؤلمة لوصف الانفصال والبعد، ويصف الأحباب بأنهم كانوا مثل: كفين وعنقودين متجانسين، ولكن الآن رمتهم الأقدار كالبيد إلى البيد.

وتؤكد القصيدة الأسى والحزن الناجم عن الانفصال والبعد بين الأحباب، وتستخدم الحنين والألم، التشبيه والصور المستخدمة، والتغير والقسوة لنقل مشاعر الفراق والألم الناشئة عنه تحولات العلاقات الاجتماعية التي تؤدي إلى تعديل الشاعر لرؤيه للعالم، إذْ تحل القسوة بدلاً من المحبة في تحولات العلاقات الاجتماعية.

6. النموذج السادس قصيدة (هو موطني الحاني):

"قالوا: سكنْتَ جبالَ (عَمّانِ)

[11] إبراهيم الكوفحي (2019)، الأعمال الشعرية، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ص 76

أهجرت حقّاً (سَهْلَ حَورانِ)!
فأجبتُ: (حَوْرانٌ) بوجداني
وجبالُ (عمّانٍ) بأجفاني
أهْوى ثرى (الأردنٌ) أجمعه
(عَمّانُ) أو (حَوْرانُ) سِيّانِ
لا فَرْقَ بين جبالِهِ وطني...
وسهولِهِ، فثراء عنواني
لا فَرْقَ بين شمالِهِ... أبداً
وجنوبِهِ، هو موطني الحاني"[12].

تشكل هذه القصيدة التوجه الاجتماعي للشاعر من خلال أسئلة تتوجه نحو تركه (لسهل حوران) وانتقاله إلى (جبال عمان) وبالرغم من التحول الجغرافي، وتوضح القصيدة أنَّ "حوران" لا تزال في وجدانه؛ بينما "عمان" أصبحت جزءًا من ذاته البصرية وأجفانه، وينفي الفكرة السائدة التي تؤكد الهجرة أو التحول الجغرافي اللذان يؤدين إلى تغيير الهوية المكانية الاجتماعية.

ويقول الشاعر بكلماته أنه يحب كل ثرى الأردن، سواء كان في "عمان" أو "حوران"، هذا يمثل إلى فكرة التوحد والتكامل، وأن المكان، سواء كان جبلاً أو سهلاً، شمالًا أو جنوبًا، لا يشكل فارقًا بالنسبة له. بل هو جزء من الوطن الذي يحبه ويشعر بالفخر به.

وتجسد القصيدة مدى اعتماد الشاعر على الثوابت الاجتماعية الوطني التي لا جدال فيها مثل: الإخلاص للوطن رغم المفارقات الغريبة، إذْ يعاني الشاعر من شدة حبه لوطنه، وفي المقابل يجد المزيد من العناء فيه، وهذه المفارقة هي مصدر مزيد من الحب والقوة والثقة، فهو يحب الوطن بطريقته الخاصة، ويدافع عنه بنبل كثير.

وفي كتب المنهج الاجتماعي في الأدب، يُعتبر الحب للوطن والاعتزاز به والانتماء له غالباً مواضيع رئيسية، وهذه الأفكار تعبر عادة عن كيفية شعور الناس بالانتماء لمكان ما والاعتزاز بالثقافة والتاريخ و الأفكار تكتسب أهميتها من خلال التأثير العميق الذي يمكن أن تكون له هذه المشاعر على السلوك الاجتماعية.

[12] إبراهيم الكوفحي (2019)، الأعمال الشعرية، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ص149.

من الجدير بالذكر أن الكتب التي تعالج الأدب والمنهج الاجتماعي قد تتضمن نقداً لمفهوم الوطنية والانتماء الوطني مع التأكيد على الطرق التي يمكن أن تستخدم فيها هذه الأفكار لدعم النزاعات الاجتماعية، وإنَّ البعد الوطني في أشعاره بنفس المستوى الذي جسد فيه البعد الاجتماعي.

وقد ألف الكوفي الكثير من القصائد الوطنية التي كانت تنشر في الصحف وبعضها من أشعار المناسبات، ومن المسلم به أنه لم يتضمن الكثير من القصائد الوطنية والمديح في مجموعته، وهذا يرجع بالطبع إلى أن الرؤية الشخصية للشاعر التي قد لا تتجاوز رغبته في شعره.

وتحاول القصيدة بناء جسر بين مفهوم الهوية الشخصية والمكان، ويعكس الشاعر التأثير الذي يحدثه التحول الجغرافي على الهوية الشخصية؛ ولكنه في الوقت نفسه يؤكد أنَّ المكان لا يحدد الهوية، بل الهوية هي التي تعطي المعنى للمكان، إذْ إن القصدة تبنى من خلال الجوانب الاجتماعية الآتية:

1. الانتماء الوطني:

يُعدُّ الشاعر عن انتمائه العميق للأردن وحبه لجبال عمان وسهول حوران، ويؤكد أنَّ ليس هناك فرق بالنسبة له بين الجبال والسهول، بل إنه يعتبرها جميعًا جزءًا من وطنه.

2. التمازج الثقافي الاجتماعي:

يستخدم الشاعر القصيدة للتعبير عن التمازج الثقافي والجغرافي في الأردن، ويشير إلى أنّه يعتز بجميع أجزاء الأردن بغض النظر عن الفروق الجغرافية، وأنه يعتبرها جميعًا جزءًا لا يتجزأ من وطنه.

3. التعبير عن الهوية:

تستخدم القصيدة أدوات المنهج الاجتماعي للتعبير عن الهوية الوطنية والانتماء الثقافي، ويعكس الشاعر أنَّ الأردن وجبال عمان وسهول حوران بوصفها جزءاً لا يتجزأ من هويته وأنه يشعر بالراحة والانتماء في كل جزء منها.

ويمكن القول أن القصيدة تعبر عن الانتماء القوي والحب العميق للأردن ومدينتي عمان وحوران، تستخدم الملامح الاجتماعي مثل: الانتماء الوطني التمازج الثقافي والاجتماعي للتعبير عن الهوية من خلال الارتباط الوثيق والعلاقة بين الشاعر ووطنه.

7. النموذج السابع (قصيدة رثاء الشاعر حبيب الزيودي) [13]

"(أحبيبُ)، كيف تُعذبُ الخُلّانا
ما كان قلبُك قاسياً (صوّانا)
عهدي به (دحنونةّ) في ربوةِ
(العالوكِ)، كم رفَّتْ ندىّ وحنانا
أو هكذا تنوي الرحيلَ إلى السّما
في الليلِ، لا خَبَراً ولا إعلانا!
ما كان ضرَّك لو مكثتَ هنيةً
حتى نبوسَ الخدّ والأجفانا" [14]

وهذه الأبيات الشعرية تصور عن الألم والحزن العميقين الذين يشعر بهما الشاعر؛ بسبب فقدانه لصديق عزيز هو الشاعر حبيب الزيودي، إذْ يتساءل عن سبب معاناته ويبدي استياءه من قسوة القلب الذي يعتبره قاسياً وغير مكترث بمشاعره.

والقصيدة يتذكر الأوقات السعيدة التي قضاها مع صديقه في منطقة "العالوك" وهو يصف هذه الذكريات بالحنونة والدافئة، ويظهر تأثير البيئة الاجتماعية على تشكيل مشاعر الشاعر وعلاقته بصديقه، وعندما يتحدث الشاعر عن رحيل صديقه فهو يستخدم الرمزية للإشارة إلى الوفاة الرحيل إلى "السما" هو تعبير مجازي عن الموت.

ويشكل الشاعر معاناته الشخصية والاجتماعية من خلال الشعور بالخسارة والحزن العميق؛ لأنه يبني العلاقات الإنسانية ولتأثيرها الذي يمكن أن يكون لها على الفرد، ويشير إلى أهمية الوداع والفرصة الأخيرة للوداع في الثقافة الاجتماعية، إذْ إن الملامح الاجتماعية تبدو في القصيدة من خلال:

1. الحزن:

---

[13] حبيب الزيودي: شاعر عراقي معاصر، وُلد في محافظة النجف في العراق عام 1964. يُعدُّ الزيودي واحدًا من الشعراء العراقيين المعروفين في العصر الحديث، ويتميز شعر حبيب الزيودي بالعمق والغزارة العاطفية، ويعكس في قصائده الكثير من المشاعر والأفكار الإنسانية. ويتناول قضايا الحب والوطن والانتماء بطريقة مميزة وشعورية. نقلاً عن: https://ar.wikipedia.org/wiki

[14] إبراهيم الكوفحي (2019)، الأعمال الشعرية، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ص 177

تستخدم القصيدة الحنين والحزن للتعبير عن الألم والحزن الناجم عن تغير سلوك الأحباب واستعدادهم للرحيل، ويؤكد الشاعر عن خيبة الأمل والأسف للتغير الذي حدث في علاقتهم.

2. الاستغراب:

يُعدُّ الشاعر عن الاستغراب والاستفهام حول سبب تغير سلوك الأحباب واستعدادهم للرحيل، ويتساءل عمّا إذا كان قلبهم قد أصبح قاسيًا وإذا كانوا يعتزمون الرحيل دون سابق إنذار.

3. الألفة:

يُعدُّ الشاعر عن الألم الناجم عن عدم تقدير الأحباب للعهد والألفة التي كانت بينهم، ويشير إلى التضحية والحنان اللذان قدمه لهم ويتساءل عن سبب رغبتهم في الرحيل رغم هذا العطاء.

ويشمل الأدب الاجتماعي دراسة تغير سلوك الإنسان، بما في ذلك الأصدقاء، إذْ يمكن أن يكون الأصدقاء مصدرًا قويًا للتأثير الاجتماعي. كتاب "التأثير: العلم والممارسة" للبروفيسور روبرت سيالديني، هو واحد من الكتب الأساسية في هذا الموضوع"[15].

وتعبر القصيدة عن الحزن والألم؛ بسبب تغير سلوك الأحباب واستعدادهم للرحيل، وتظهر القصيدة الملامح الاجتماعية مثل: الحنين، الاستغراب، والألفة للتعبير عن الالتفات الحزين والأسف لفقدان الأحباب وتغير العلاقة معهم.

الخاتمة والتوصيات

في ختام هذا البحث، فإن الغاية الأساسية كانت التعرف على الرؤية الاجتماعية للشاعر إبراهيم الكوفحي من خلال سبعة من أبرز أعماله الشعرية: "القرآن والبندقية"، "أنا إبراهيم"، "غزة تحت القصف"، "ما هذا بإنسان"، "الراحة الكبرى"، "قسوة"، "هو موطني الحاني"، و"رثاء الشاعر حبيب الزيودي"، بفضل تطبيق المنهج الاجتماعي، كان بالإمكان استخراج وتوضيح المواضيع السائدة في شعر الكوفحي.

تأتي النتائج الرئيسية للبحث لتعكس أن الشاعر الكوفحي يستخدم شعره كأداة فعالة للتعبير عن مجموعة واسعة من القضايا الاجتماعية والسياسية، يبرز في قصائده المتحللة الظلم الاجتماعي، القمع السياسي، الحروب

[15] جرين، د. (2013). التأثير الاجتماعي ودور الأصدقاء في تغيير السلوك. مجلة علوم النفس والاجتماع، 25(4)، ص67-82.

والأزمات الإنسانية، وجميعها تحتل مكانة مهمة في الواقع الاجتماعي والسياسي للعالم العربي، لقد كشفت الدراسة عن التعقيد والعمق النفسي في شعر الكوفحي، وكيف يستطيع أن يقدم رسائل قوية ومؤثرة من خلال استخدام الرمزية واللغة الشعرية الغنية.

على ضوء هذه النتائج، يوجد عدد من التوصيات التي يمكن اقتراحها، أولاً، يتم التأكيد على الحاجة إلى الاستمرار في البحث والدراسة حول الأدب العربي، وخاصة الشعر، لفهمه بشكل أعمق وتقديره، من الضروري تثقيف القراء العالميين حول القضايا الاجتماعية والسياسية في العالم العربي، والشعر يعد أداة فعالة لذلك، ثانياً، يجب القيام بمزيد من الدراسات المشابهة التي تستخدم المنهج الاجتماعي في تحليل الأعمال الأدبية، حيث يمكن لهذا المنهج أن يوفر فهمًا عميقًا للعمل الأدبي ضمن السياق الاجتماعي الذي تم إنشاؤه فيه.

بشكل عام، تأمل هذه الدراسة في تقديم مساهمة قيمة في تفسير وفهم الشعر العربي، وتشجيع القراء والباحثين على تقدير القدرة الفريدة للشعر على التعبير عن الحياة الاجتماعية، وكذلك التأكيد على الحاجة الملحة للتعمق أكثر في الدراسات الأدبية الاجتماعية.

المصادر والمراجع

مناع، هشام & ياسين شفاء (2021) لأوزان الشعرية وموسيقاها وأثر القافية فيها في شعر الدكتور إبراهيم الكوفحي، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية.

الكوفحي، ابراهيم (2019)، الأعمال الشعرية، دار الإسراء للنشر والتوزيع.

جرين، دينالد. (2013). التأثير الاجتماعي ودور الأصدقاء في تغيير السلوك. مجلة علوم النفس والاجتماع.